

الفصل الثاني

الفخر الحزبي

نما هذا النوع من الشعر في العهد الأموي ، وقد اصطبغ بصبغة السياسة ، وذلك أنه لما بويع علي بن أبي طالب وقع خلاف سياسي شديد في شأن الخلافة ، وقد آتهم علي بترأخيه في القبض على قتلة عثمان بن عفان ، وقام في وجهه ابن الزبير يناصبه العداة ، كما قام في وجهه معاوية بن أبي سفيان يطالب بدم عثمان ويطمع في الملك ؛ وقام في وجه علي ومعاوية حزب الخوارج يحارب هذا وذاك . وهكذا انقسم العرب أحزاباً ، فن شيعة يناصرون بيت علي . إلى زبيريين يشايعون آل الزبير . إلى خوارج ينهضون في وجه الاستبداد ، إلى أمويين على عرش الخلافة يدودون عن سلطانهم بشدة ؛ وهكذا كان لكل حزب شعراء يساندونه بأقلامهم ، وكان شعرهم حماسياً شديداً للهجة لأنه شعر العواطف المتناحرة في سبيل الحياة والدين والحرية والسيادة . ومن أولئك الشعراء قطري ابن الفجاءة ، وعمران بن حطان ، والطرماح بن حكيم ، وعمرو بن الحصين للخوارج ، والكميت الأسدي وكثير عزة للشيعية ، وعبيد الله بن قيس الرقيات للزبيريين ، وأبو العباس الأعمى وأعشى ربيعة والنابعة الشيباني وعدلى بن الرواح وكعب الأشقرى للأمويين .

وإلى جنب هؤلاء جميعاً ثلاثة شعراء هم في الذروة لذلك العهد ، أعنى بهم الأخطل والفرزدق وجريراً . وإن لم يكونوا من شعراء السياسة بكل ما في الكلمة من معنى ، لتغلب العصبية القبلية عليهم ، قد عاشوا في ظل بني أمية واتصلوا بالأحزاب السياسية ورأوا فيها وسيلة يتذرعون بها للوصول إلى غايتهم القبلية ،

ثم إنهم في ملاحياتهم الشهيرة مزجوا الفخر الذاتي بالفخر الحماسي والفخر الحزبي ولذلك لم نر بأساً في التعرض لهم في هذا الباب .

وإننا إذا ألقينا نظرة على الفخر الحزبي في هذا العهد نرجع بما رجع به الدكتور زكي المحاسني إذ قال : « لا يكاد يأخذ بإعجابي وصف حرب قاله أحد شعراء العصر الأموي ، فأرى خلاله رهط المقاتلين يتلاحمون بين الحياة والموت ، وألمح لمعات الأسنة والسيوف تقع في اللبات والنحور ، وأسمع زمزم الجيوش تمور في حومة الوغى ، حتى يعكّر على صفاء هذه الصورة وبراعة هذا الوصف أبيات في أواخر القصيدة أو في أثنائها ، يحاول بها الشاعر أن يعنى على آثار قوم آخرين في الشجاعة والبأس . وقد لا يتورع عن إيذائهم بالهجاء ، وسلبهم كل خصال المروعة والحمية التي عرفت فيهم . فهو أبدأ يسعى إلى إعلاء قومه ، فيخلع عليهم صفات المكارم والفضائل ، وينزعها عن سواهم ، حتى بات كثير من أقوال هذه الطائفة من الشعراء منوطاً علاؤه بنفض غيرهم . وكلما زاد تهجين الشاعر لأعدائه وذمه إياهم ، انطلق جناحاه في أجواء الثناء على نفسه وعلى قومه . وقد تأثر الشعر العربي من فواتحه إلى خواتيمه في شعر الفخر ، فوجدته يمضي على هذا الغرار في عصر بني أمية . فإذا كان الشعر في وصف الحرب تناول قائلوه هذه الطريقة ، فذموا شجاعة غيرهم ومدحوا أنفسهم وبطولتهم . وقد لا يظل هذا المدح والهجاء في قصيدة الشاعر الواحد ، وإنما يتجاوزانه إلى أكثر من شاعر ، فينبئ من يقول قصيدة أو أبياتاً في ذم خصومه في الحرب ، وحمد قومه ، فيتصدى له شاعر آخر يرد عليه بذمه ومدح نفسه وقومه ، ثم يدخل آخرون في الحلقة بمثل ديدن السابقين ، فتصبح معالم الوصف الصادق مشوهة على من جاء يتقرى ، فيحار متلمساً أي قوم أشجع وأفنك ، وأشد بأساً في وقعة ، وأي معشر فيهم سجايا الفروسية ، ولأي كتب النصر ؟ » .

١ - شعر الخوارج :

شعر الحرب عند الخوارج صورة ثورة دينية عنيدة ، وصورة شجاعة جبارة ؛ هو شعر كتب بشفار السيوف ، ورؤوس الرماح ؛ هو شعر الاساتاة في سبيل الغاية المثلى التي يناضلون لأجلها ، والتي يجسمونها في قولهم أبداً : « لا حكم إلا لله ! » وقطرى بن الفجاءة هو ذلك الشاعر الذي يضطرم شعره حماسة وإقداماً ، وهو الذي خاض المعارك في بطولة ما بعدها بطولة ، وقد اشترك في حرب « دولاب » التي جهز إليها ابن الزبير أمير البصرة جيشاً لجباً ، والتي دامت عشرين يوماً . وقد انتصر الخوارج انتصاراً عظيماً ، فقال ابن الفجاءة ذاكراً زوجته أم حكيم وواصفاً الحرب :

لعمرك إننى في الحياة لزاهدٌ وفي العيش مالم ألق أم حكيم ..
ولو شهدتني يوم دولاب أبصرتُ طعان فتى في الحرب غير ذميرٍ
غداة طغت في الماء بكرين وائلٍ وعجنا صدور الخيل نحو تميمٍ

هكذا كان قطرى بن الفجاءة : عقيدة ثابتة ، وشجاعة فوارة . فهو رجل تدين ، وهو رجل حرب ، وشعره حافل بالروح « التي تزجر المتخاذلين ، وتنضح بالقتال ، لأن الحياة زائلة ، وشرف الموت على حد السيوف أعز وأبقى » . أما عمرو بن الحصين فهو من شعراء الخوارج أيضاً وقد شهد يوم قديد - وهو مكان بالقرب من المدينة - ووصف الخوارج في حربهم تلك .

ب - شعر الشيعة :

كان أهل الشيعة في شعرهم الحربي أقل فروسية من الخوارج ، وكانوا ذوي ثورة وطمع في الخلافة ، ولذلك وجه إليهم بنو أمية أشد ضرباتهم . وشعر الشيعة

هو شعر السخط والحزن ، وهو يرى إلى الجهاد في سبيل الخلافة ، وذلك في أسلوب يتقلب بين الهدوء والثورة ، والرقّة والحزن ، بحسب ما تقتضيه حال الاحتجاج أو الغضب أو الألم .

وللكميت بن زيد الأسدي الشاعر الشيعي في هاشمياته قصيدتان رائعتان في الحرب ، قال في إحداهما واصفاً أبطال شيعته :

فَهُمُ الأُسْدُ فِي الوغى لا اللوائِ	بين خيس العرينِ والآجامِ
أُسْدُ حربٍ عُيُوثُ جَدْبٍ بَهَالِيهِ	لُ مَقَاوِيلُ غير ما أَفْدَامِ
سَادَةٌ ذَادَةٌ عن الحُرْدِ البِيهِ	ضِ إِذَا اليَوْمُ صارَ كالأَيَّامِ
لا كعبدِ المليكِ أو كوليهِ	أو سليمانَ يَعُدُّ أو كهشامِ

ح - شعر الزبيريين :

لقد أنكر الزبيريون على بنى أمية جعلهم الخلافة وراثية فيما بينهم دون سائر قريش . وكانوا من العاملين في سبيل الأرسقراطية .

وشعر ابن قيس الرقيات حافل بوصف قتال الزبيريين وإقدامهم ، حافل بوصف بطولته ، مملوء بالحماسة والفروسية . قال يمدح ابن الزبير وأخاه مصعباً :

والزُبَيْرِ الذي أَجابَ رسولَ اللّٰهِ	ه فِي الكَرْبِ والبلاءِ بلاءِ
والذي نَغَصَ ابنِ دومة ما تو	حى الشياطين ، والسيوفُ ظِمَامُ
فأَباحَ العِراقَ يَضْرِبُ بالْمُنْدِ	صل صلدتاً ، و فِي الضَّرَبِ غِلاءِ
إِنما مُصِعبُ شهابُ من اللّٰهِ	ه تجلّت عن وجههِ الظّلماءِ
مُلْكُهُ مُلكُ قوّةٍ ليس فيه	جَبَروتٌ ولا به كِبَرِياءِ

ولما فر الشاعر من وجه بنى أمية والتحق بفلسطين نازلاً على أهل له من بنى كنانة ، نظم قصيدة استهلها بالغزل ثم فخر بقومه وفروسيته ، قال :

حَلَقْتُ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ حَوْلِي بِفِلَسْطِينَ يُسْرِعُونَ الرُّكُوبَا
 مِنْ رِجَالٍ تُفَنِّئِي الرِّجَالَ وَخَيْلٍ رَجُمَ بِالقَنَا تَسُدُّ الغُيُوبَا
 لَا يُبَالُونَ مَنْ أَقَامَ إِذَا مَا كَشَفُوا بِالسُّيُوفِ يَوْمًا عَصِيبَا
 إِنَّ قَوْمَ الفَتَى هُمُ الكَنْزُ فِي دُنْ يَاهِ وَالحَالُ يُسْرِعُ التَّقْلِيبَا ..

إلى غير ذلك مما حفلت به قصائد الشاعر وما يطلعنا على موقفه وهو القرشي الأصل ، الزبيرى الهوى ، الذى مدح عبد الله بن الزبير فى حربه وفى سلمه ، والذى أراد لقومه العزة والسلطان ، وصارح بنى أمية العداوة ، وكان بوقاً مدوياً على كل حال .

د - شعر الأمويين :

رأى الناس فى الأمويين رجال سياسة ، وطلاب دنيا وملك ، اعتمدوا على قوة السيف والمال والعقل فى تأييد عرشهم ، فجنح إليهم الشعب طمعاً فى ما لهم أو خوفاً من بأسهم . وكان أكثر الشعراء المنتمين إلى حزبهم من ذوى المنفعة ، الذين يمدحون ملاوكهم لأجل الطمع أو الخوف ، وليس فى شعرهم كثير جددة من الناحية الفنية ، فهو يدور حول المديح بالصفات العامة كالكرم ، والحلم ، وحسن السياسة ، والمجد القديم ، والحظ المواتى وما إلى ذلك . ومن أخلص الشعراء عاطفة لبنى أمية كعب الأشقرى ، الذى كان من أعظم وصافى الحرب فى العصر الأموى .

• كعب الأشقرى : هو من الشعراء الفرسان الذين اشتركوا فى الفتح وشهدوا حروب الأزارقة . وقد نظم قصيدة مشهورة وأنشدها فى حضرة الحجاج لما تغلب المهلب بن أبى صفرة على الخوارج . وهى قصيدة تقع فى أربعة وثمانين

بيتاً ، وتدور كلها حول الحرب ووصف القتال تتبع فيها الشاعر جيش بني أمية وجيش الخوارج في مختلف المواقف ، في لهجة حماسية شديدة ، وإليك شيئاً منها :

يَا حَفْصُ إِنِّي عَدَانِي عَنْكُمْ السَّفَرُ
عَلَقْتُ يَا كَعْبُ بَعْدَ الشَّيْبِ غَانِيَةً
وَاشْتَدَّتْ الْحَرْبُ وَالْبَلْوَى وَحَلَّ بِنَا
تَلَبَّسُوا لِقِرَاعِ الْحَرْبِ بِزَتَّهَا
سَارُوا بِأَلْوِيَةِ لِلْمَجْدِ قَدْ رُفِعَتْ .
قَتَلِي هِنَالِكَ لَا عَقْلُ وَلَا قَوْدُ
بَاتَتْ كِتَابِينَا تَرْدَى مُسَوِّمَةً
عَبَّوْا جُنُودَهُمْ بِالسَّفْحِ إِذْ نَزَلُوا
لَا قُوا كِتَابَ لَا يَخْلُونَ ثَغْرَهُمْ
صَفَّانِ بِالْقَاعِ كَالطَّوْدَيْنِ بَيْنَهُمَا
يَمْشُونَ فِي الْبَيْضِ وَالْأَبْدَانِ إِذْ وَرَدُوا
وَشَيْخُنَا حَوْلَهُ مَنَّا مَلْمَمَةٌ
نَدُّوهُمْ بِعَنَاجِيحٍ مَجْتَمِفَةٍ
فِي مَعْرَكٍ تَحْسِبُ الْقَتْلَى بِسَاحَتِهِ
فِي كُلِّ يَوْمٍ تَلَاقَى الْأَزْدُ مَفْظَعَةً

وَقَدْ أَرَقْتُ فَاذَى عَيْنِي السَّهْرُ
وَالشَّيْبُ فِيهِ عَنِ الْأَهْوَاءِ مَزْدَجَرُ
أَمْرٌ تُشَمَّرُ فِي أَمْثَالِهِ الْأَزْرُ
فَأَصْبَحُوا مِنْ وِرَاءِ الْجِسْرِ قَدْ عَبَّرُوا
وَتَحْتَهُنَّ لِبُوثٌ فِي الْوَعْيِ وَقُرُ
مِنَّا وَمِنْهُمْ دِمَاءٌ سَفَكُهَا هَدْرُ
حَوْلَ الْمَهْلَبِ حَتَّى نَوَّرَ الْقَمْرُ
بِكَازِرُونَ فَمَا عَزُوا وَلَا ظَفِرُوا
فِيهِمْ عَلَى مَنْ يِقَاسِي حَرْبَهُمْ صَعْرُ
كَالْبَرْقِ يَلْمَعُ حَتَّى يَشْخَصَ الْبَصْرُ
مَشَى الزَّوَامِلُ تَهْدِي صَفَّهُمْ زُمْرُ (١)
حَى مِنْ الْأَزْدِ فِيمَا نَابَهُمْ صَبْرُ
وَبَيْنَنَا نَمَّ مِنْ صَمِّ الْقَنَا كُسْرُ (٢)
أَعْجَازَ نَخْلٍ زَفْتُهُ الرِّيحُ يَنْقَعُرُ
يَشِيْبُ فِي سَاعَةٍ مِنْ هَوْلِهَا الشَّمْعُرُ

(١) الزوامل : الإبل المحملة .

(٢) العناجيج : جباد الخيل والإبل .

والأزد قومي خيارُ القومِ قد علموا إذا قرومُهُم يومَ الوغى خَطَرُوا
 حتىُّ بأسِافِهِم يَبِغُونُ مَجْدَهُمُ إِنَّ المكارمَ في المَكروه تبتدُرُ
 لولا المهلَّبُ للجيشِ الذي ورَدوا أَنهارِ كرمانِ بعدَ اللهُ ما صدرُوا

ويمضى كعب الأشقرى في ملحمة هذه ، وإذا أنت أمام حرب طاحنة
 يشيب لهولها الشعر ، وقد التقى الجيشان في زرد الحديد ، وفوقهم البنود خفاقة ،
 وتحتم الخيول المطهمة . والجيشان طودا قوّة وشجاعة وبأس . ولما اعتصم
 الخوارج وراء الجسر ، جاز إليهم الأمويون ، فالتحم القتال ولعت السيوف ،
 وانقضّ الهول انقضاض الصواعق ، وجرت الدماء سيولاً ، فانسلس الخوارج
 من المعركة ، فاتبعهم جيش بني أمية ، وعاد القتال إلى الالتحام ، واشتدّت
 الحال على الخوارج ، فهلك منهم عدد كبير ولاذ الباقون بالفرار .

وهكذا كان الأشقرى من أعظم وصّافى الحرب في العهد الأموى ، وهكذا
 كانت قصيدته من أروع القصائد الحربية لأنها جمعت الاستيفاء ، إلى الدقّة ،
 إلى التدفق والانطلاق ، إلى الواقعية المضحمة تضخيماً ملحيمياً لا يخرج عن
 حدود المعقول ، إلى تفصيل مواقف الجيشين وتبّع حركاتهما في لطفة وصدق
 عاطفة ، إلى الاعتراف بمناعة صفوف الأعداء وحسن بلائهم في الطعان .

ولئن فخر الأشقرى بقومه الأزد فإنه كان من الشعراء النادرين الذين أخلصوا
 العاطفة لبني أمية فصدقوا في وصف حروبهم ، ومدحهم بما كانوا له أهلاً من
 الفعال والحصال الحميدة .

٥ - شعر المثلث الأموى :

وهناك شعراء ثلاثة عرفوا بالمثلث الأموى ، وكان مدار فخرهم حول الذات

والقبيلة والحزب . وهم الأخطل والفرزدق وجريير .

وللحرب والفخر في شعر الأخطل محل واسع ؛ أما الحرب فقد أتى منها على ذكر عدة مواقع كانت لقومه على أعدائهم . ذكر يوم الثرثار - وهو واد عظيم في الجزيرة السورية يمدّه الماء في الشتاء - وقد دارت رحى القتال فيه بين بني تغلب وقبائل القيسية ، وكان يوماً شديداً الوطأة ، يوماً أربدت سماؤه ، وانتشر الموت في صفوف المتقاتلين انتشاراً عظيماً ، وجرت الدماء على الأرض سيولاً ، وأثبت كل بطل في مستنقع الموت رجله ، وقال لها من تحت أخمصك الحشر .

وذكر الأخطل يوم « إراب » وكان النصر فيه لقوم الأخطل على القيسية وقوم جريير ، فقال :

ولقد سما لكم الهدْيِيلَ فنالكمُ	بإِرابَ حيثُ يقسّمُ الأنفالا (١)
فِي فَيْلِقِي يدعو الأراقِمَ لم تكنْ	فُرسانه عَزَلًا ولا أَكفالا (٢)
بالخيلِ ساهمةَ الوجوهِ كأنما	خالَطَنَ مِنْ عَمَلِ الوجيفِ سلالاً
فسقين من عادينَ كأساً مرّةً	وأزَلَنَ حدَّ بني الحبابِ فزالاً
فأنعقَ بضائِكَ يا جرييرَ فإنما	منتكَ نَفْسُكَ في الخلاءِ ضلالاً

وأما فخر الأخطل فقد اصطبغ بالصبغة السياسية ، وهو يدخل في المدح والهجاء مظهراً لبني أمية ما تغلب من الأيادي البيض ، ومظهراً ما لصاحبه من كرم الأصل ومن التفوق على خصمه . واصطبغ فخر الأخطل أيضاً بالصبغة الجاهلية التي تعتمد تعداد الأجداد القبلية في النفس ، والتي لمساتها في شعره الحربي قال :

(١) الهدْيِيلُ : هو الهدْيِيلُ بن هيرة التغلبي .

(٢) الأكفالا ج كفل وهو الرجل يكون في مؤخر الحرب هتة متأخر والفرار .

بَنَى أُمِيَّةً قَدْ نَاضَلَتْ دُونَكُمْ أَبْنَاءَ قَوْمِهِمْ آوُوا وَهُمْ نَصَرُوا (١)
 أَفَحَمَّتْ عَنْكُمْ بَنِي النَّجَّارِ قَدْ عَلِمَتْ عَلِيًّا مَعَدًّا وَكَانُوا طَالَمَا هَدَرُوا (٢)
 حَتَّى اسْتَكَانُوا وَهُمْ مَنَى عَلَى مَضْمُنٍ وَالْقَوْلُ يَنْفُذُ مَا لَا تَنْفُذُ الْإِبْرُ

أما فخر الفرزدق فقد قيل فيه :

« ديوان الفرزدق في حقيقته يكاد يكون دفاعاً خالصاً عن قومه ، وتمجيداً
 غالباً ، فهو أشبه ما يكون بخطبة أو خطب ، قيلت في مدحهم والفخر بهم فخراً
 لا تجف مادته في نفسه ، إذ كان يستمد من معين لا ينضب ، وكأنه يغرف من
 بحر تمدد أبحر : فهو لسان قبيلته ، وسحب الفخر بها ما تزال تعتقد شعراً على
 هذا اللسان الرطب برائع القول وجزله . »

والفرزدق يجعل قصائد المهجو في جو وسيع من الفخر والتبجح ، وقد
 يفتتحها بالفخر . فيأتي خصمه أبداً من عل ، ولهذا قيل : « الفرزدق إذا هجا
 ارتفع » . يرتفع على جرير خصوصاً ، وكان جرير من أحقر بيوت تميم ،
 والفرزدق من أشرفها ؛ فكلما أقبل الفرزدق على هجائه تعالى عليه ، ووازن بين
 الشرف والحقارة ، وأخذ بتعداد آياته وأجداده ، مفصلاً ما ثرهم في الجاهلية
 والإسلام . وهكذا كان قومه في نظره أعز العرب بيتاً ، وأرفعهم شرفاً ، وأوسعهم
 خيراً وكرماً . هم ذوو العقول التي توازي الجبال ، والثبات الذي لا يتزعزع ،
 والشجاعة التي تفوق كل شجاعة . . . وهكذا كان هو في نظر نفسه كريماً
 كالبحر ، شجاعاً كالأسد ، ربيعاً كالبلدر ، مؤلماً كالحية ، قد ورث الشعر
 من امرئ القيس والمهلhel وطرفة والأعشى وغيرهم من كبار الشعراء .

(١) بني الأنصار .

(٢) بنو النجار : قوم من الأنصار منهم الشاعر حسان بن ثابت . عليا معد : يريد بني قريش .

وإذا فخر الفرزدق اتسعت آفاقه ، واشتدت لهجته ، وطال نفسه ، وقويت عبارته ، ولكنه يضطرب في ميدان قلما يتبدل ، ويأتي بمعان قليلة التنوع .
وقد مزج جرير المدح بالفخر ، والهجاء بوصف الحرب وذكر الأيام ، وأكثر من وصف الخيل وتصوير الفروسية .

وهكذا فخر جرير بسيفه ولسانه ، وإذا سيفه أمضى السيوف وإذا لسانه شديد الوطأة :

جَرِيءُ الْجَنَانِ لِأَهَابٍ مِنَ الرَّدَى إِذَا مَا جَعَلْتُ السَّيْفُ قَبِيضَ بِنَانِيَا
وليس لسيوفى فى العظام بقيةً وللسيف أشموى وقعة من لسانيا

هذا هو سيف جرير ، وهذا لسانه ، والسيف عنده أنجع من اللسان في رقاب جماعة أضعوا الشرف ، وأضعوا كل إحساس أمام كلمة تُقال ؛ ولوم يوجه ، وهجاء ينشر . وسيفه بتار يمدد قلب جرىء ، وساعد شديد ، ونفس لا تهاب الموت .

وهكذا فخر جرير بشاعريته التي تنفض على الشعراء بالصواعق فترديهم صفوفاً صفوفاً ! وفخر بإسلامه ومضريته - وفي مضر النبوة والخلافة - ، وتعالى بهما على الأخطل التغلبي وقال :

إِنَّ الَّذِي حَرَّمَ الْمَكَارِمَ تَغْلِيبًا جَعَلَ الْخِلَافَةَ وَالنَّبُوَّةَ فِينَا

وإذا هجا الفرزدق اصطدم بأصله ، وأصل الفرزدق من أصله ، وكلاهما من تميم ، وتميم أصل كريم ، وشجرة باسقة الأغصان ، وفروة من ذرى المجد :

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُمْ غَضَابَا

إلا أن لتيم فروعاً عدّة ، وفرعُ الفرزدق أشرف من فرع جرير ، ولهذا لم يستطع جرير أن يطاول الفرزدق في الآباء والأجداد ، ولم يستطع أن يجول معه في هذا الميدان جولات واسعة ، فاكتفى بذكر بعض الأيام التي كانت لبني يربوع قومه ، كما أعين على الفرزدق بأيام خمدل فيها قومه بنو دارم وأخواله بنو ضبة .

وإذا هجا جرير الأخطل ذكر حروب قومه وهم حلفاء القيسية وذكر مواقعهم مع بني تغلب وقال :

وَنَعْرِفُ حَقَّ النَّازِلِينَ وَلَمْ يَزَلْ فَوَارِسُنَا يَحْمُونَ قَاصِيَةَ السَّرْبِ
عَلَى مُقَرَّبَاتٍ هُنَّ مَعْقِلٌ مِنْ جَنِي وَسُمُّ الْعِدَى وَالْمُنْجِيَاتُ مِنَ الْكَرْبِ
أَلَا رُبَّ جِيَارٍ وَطِئْنَ جَبِيئَهُ صَرِيحاً وَنَهَبَ قَدْ حَوِينَ إِلَى نَهْبِ
وَقَدْ أَوْرَدَتْ قَيْسٌ عَلَيْكَ وَخِذْفٌ فَوَارِسَ هَدْمَنَ الْحِيَاضِ الَّتِي تَجْبِي

أما فخر جرير فكان استعلاء وتعبيراً ، وكان ممزوجاً بالهجاء ، وكان انقضاضاً صاعقاً مدوياً ، يخفل بالعاطفة الصاخبة القوية ، وتعصف به موسيقى حربية أخاذة .

* * *

تلك كانت مظاهر الفخر في العهد الأموي ، وقد تطاحت فيه الأحزاب تطاحتاً شديداً ؛ وإن من تتبع الشعر العربي في هذا العهد يجده شديد الاقتراب من الشعر الجاهلي في حقل الحماسة والفخر ، شديد التزوع إلى ذكر الأيام وتعداد الأجداد ؛ وهو إلى ذلك قد امتاز باتساع الآفاق الاجتماعية والسياسية والدينية ، وازداد غلواً وإغراقاً في وصف الحروب وأدواتها ، وازداد تبعاً لحركات الجيوش ، كما ازداد نزوعاً إلى التعبير بالمجازي ، والإقذاع في ذلك التعبير .